تنمية الشخصية اللغوية وأدب الأطفال القصة القصيرة أنموذجاً

د. راشد علي عيسى *

E.mail: rashed1951@yahoo.com

* أستاذ مساعد أدب ونقد حديث جامعة البلقاء التطبيقية
كلية الأميرة عالية الجامعية- عمان - الأردن

تنمية الشخصية اللغوية وأدب الأطفال
القصة القصيرة أنموذجاً

د. راشد علي عيسى

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى استقراء أهمية أدب الأطفال في تنمية الشخصية اللغوية عند الطفل، والكشف عن أساليب إكساب الطفل مهارات اللغة العربية الأساسية (القراءة، والكتابة، والاستماع، والتحدث) بوساطة لغة القصة القصيرة.

بيّن البحث المقصود بأدب الأطفال وبالشخصية اللغوية، ومسوّغات بنائها، وآلية البناء ومصادر لغة الطفل، وأثر القصة في إغناء لغة الطفل ثم قدّم حلقة تطبيقية تجريبية في قصة قصيرة موجّهة إلى المرحلة العمرية من (10-12) سنة، مع تحليل لغوي للمحتوى.

خلص البحث إلى أن أدب الأطفال مصدر رئيس وغنيّ وممتع لإكساب الطفل المهارات اللغوية المختلفة المتكاملة مع عناصر النموّ الأخرى، من أجل بناء الشخصية اللغوية المرجوّة وتنمية مهارات التفكير والتذوق الأدبي. كما استنتج البحث أنه لا بُدَّ من استخدام أدب الأطفال في المدارس بصفته رديفاً متميزاً لدروس اللغة العربية المنهجية، وذلك بوساطة الحلقات النقاشية الحرّة المخطط لها زمنياً وكيفياً ونوعياً.

مصطلحات أساسية: الشخصية اللغوية، أدب الأطفال، القصة القصيرة.

Development of Linguistic Character and Children Literature

Dr . Rashed Ali Essa

Abstract:

This research investigates the importance of Children Literature in development their Linguistic Character, and reveals the methods of gaining the basic Arabic Language skills: (Reading, writing, listening, speaking) through the language of short tale.

The research explains: (Children Literature) as a term in association with the (Linguistic character) as a term too. It explains the motives of constructing this character and the mechanism if this construction, and the source of child language, in addition to the effect of tale for growing the language.

The research presents also oncoming applied workshop through short tale directed for age (10-12) years, in addition to linguist analyzing.

Finally, the research gets to that Children Literature is a main rich and interesting source for children to obtain several integral linguistic skills which united with other growth elements in order to construct a fine linguistic character. The research also concludes that it is necessary to use Children Literature in schools through free and planned workshop.

Keywords: Development of Linguistic Character, Children Literature .

المدخل :

يُتوقَّع أن أدب الأطفال ولا سيّما الأناشيد والقصص والمسرحيات وسيط ناجح ورئيس في بناء شخصية الطفل بعامة وتأهيله للحياة، ولنا في ذلك عبرة وعظة من منهج أسلافنا العرب في مسألة تأديب أبنائهم، حين كان أطفال الحواضر يُرسلون إلى البوادي ليتعلموا اللغة العربية من منابعها الأصيلة، وحين كان الحكام والسلاطين يخصّصون لأبنائهم مؤدبين متميزين يعلّمون البيان العربي النقيّ وجميع المعارف والعلوم التي يستطيع الطفل استيعابها «فقد كان عبد الملك بن مروان يرسل أولاده إلى البادية عند أخوالهم ليستقوا الشعر واللغة والنحو من منابعها الصافية التي لم تخالطها العجمة ولم يداخلها اللحن، ويفقهوا أسرار العربية وأساليبها فقها دقيقا»[1].

ومن أمثلة حرص أجدادنا العلماء على بناء الشخصية اللغوية عند الفرد ما أورده ابن قتيبة في عيون الأخبار: «وإني كنت تكلفت لمغفل التأدّب من الكتّاب كتاباً في المعرفة وفي تقويم اللسان ... وشرطت عليه مع تعلم ذلك تحفظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطوره متمثلاً إذا كاتب، ويستعين بما فيها من معنى لطيف ولفظ خفيف حسن إذا حاور»[2]، فابن قتيبة يؤكد في مقولته مهارتين بارزتين من مهارات الاتصال بالعربية هما مهارة الكتابة ومهارة الحوار، وهو في دعوته إلى التمثّل بعيون الحديث فإنما يظهر أثر المعاني اللطيفة والألفاظ الخفيفة في إنجاح رسالة الاتّصال وإقناع المتلقي وانجذابه إلى رأي الكاتب أو المحاور، فالاستعانة بعيون الحديث وسيط ناجح يعزز المهارات اللغوية عند المتأدّب سواء إذا كتب أو حاور .

وربما لا توجد أمّة في الأرض تعبّر لغتها عن شخصيتها مثلما تعبر اللغة العربية عن أمّة العرب، ولعلّ الباحث والفيسلوف الألماني يوهان هردر شاهد مهم على هذا المنحى حين قال في كتابه (Ideen أفكار): «يرى العرب في لغتهم أعزّ ميراث يملكونه وفي هذه اللغة الثرية الجميلة تكوّنت علوم وفنون شعرية وفلسفة، وكان الشعر ميراثهم القديم، إنه وليد الحرية»[3] .

إن الأطفال أحوج فئات المجتمع؛ إلى إتقان اللغة ومهاراتها وأساليبها الجمالية لتضفي على ألسنتهم طاقة تعبيرية تمنح شخصياتهم قوة نفسية اجتماعية وتأثيرا ناجحا في الآخر. فاللسان الطليق القويم المدرّب على صياغة البيان يملك سحراً نافذاً في الآخر، وهذا ما أكده سيدُ البشرية صلى الله عليه وسلم حين قال «إن من البيان لسحراً[4] وإن من الشعر لحكمة» [5] .

كما أدرك علماء التربية أيضاً أن أدب الأطفال وسيلة أولى لبناء الشخصية اللغوية؛ ذلك أن تمكّن الطفل من المهارات اللغوية على اختلاف أشكالها يحقق له القدرة على النجاح في المجالين الرئيسين لاستخدام اللغة، المجال الأول هو النطق المبين دون عيّ أو تلعثم أو حُبسة فيحقق الطفل هدفه من التعبير الشفهي بنجاح، يزاد على ذلك ما يناله من تقدير الآخر له ومن تقديره لنفسه، والمجال الثاني هو القدرة على الكتابة بأسلوب فيه إبانة وفصاحة، وربما بلاغة أيضاً للتعبير عن الحاجات والأفكار والمشاعر بأفضل أسلوب، إذ يتفق التربويون على أن الهدف الرئيس من التربية هو «الوصول بالطفل إلى أفضل أسلوب في التعبير» [6].

1-المقصود بأدب الأطفال:

ثمة عشرات التعريفات لمفهوم أدب الأطفال أوردها الباحثون والعلماء والتربويون في أكثر من مئة كتاب يحمل عنواناً واحداً هو أدب الأطفال[7]. غير أنني مطمئن إلى تعريف محمد الهري الذي يقول «إنه تشكيل لغوي فني ينتمي لنوع من أنواع الأدب سواء أكان قصة أم شعراً مسرحياً أم شعراً غنائياً، يقدمه كاتبه تقديماً جيداً في إطار متصل بطبيعة الأدب ووظيفته اتصالاً وثيقاً ويتفق وعالم الطفولة اتفاقاً عميقاً.[8].

فهو إذن الأدب الذي يكتبه الكبار للأطفال خصيصاً مع مراعاة مختلف الجوانب النفسية

واللغوية والخيالية والمعرفية الملائمة لكل مرحلة من مراحل الطفولة ومن أنواعه الأناشيد ملحنة وغير ملحَّنة، مقروءة أو مسموعة، والقصص مقروءة أو ومسموعة والمسرحيات منظورة أو مقروءة.

2-امتياز أدب الأطفال:

ربما يمتاز أدب الأطفال عما في كتب اللغة العربية بأساليب التشويق والإمتاع والجاذبية؛ لأن نسبة من الخيال والتصوير متوافرة فيه، وهو قابل للحفظ والترديد والتكرار والإلقاء والبقاء في ذاكرة الطفل أكثر من النصوص العادية الموجودة في كتب اللغة العربية. كما أن الاستجابة للقيم المتعددة فيه ربما تتم بسرعة أكبر منها في النصوص الأخرى؛ لأن الطفل يشعر بالحرية التعبيرية ويحصل على قدر كبير من اللعب والتمثيل والدراما والغناء، بمعنى أن الجانب الانفعالي في أدب الأطفال أوفر منه في النصوص الموجّهة في كتب اللغة العربية، إلا إذا كانت هذه النصوص ذات صبغة أدبية فيكون لها تأثير فني وانفعالي وجمالي كتأثير أدب الأطفال «فأدب الأطفال إذن يطلق العنان لخيالات الأطفال وطاقاتهم الإبداعية، ويطور وعيهم وطريقة فهمهم للحياة، وينمي إدراكهم الروحي ومحبتهم للجمال ولروح المعرفة ويبني فيهم الإنسان ويصنعه»[9] .

3-المقصود بالشخصية اللغوية:

هي مجموعة المهارات اللغوية المتعددة التي يكتسبها الطفل من مصادرها المختلفة لا سيما أدب الأطفال، فتتنامى لديه بالاستخدام والممارسة التطبيقية حتى تصبح علامة بارزة من تكوينه النفسي والاجتماعي والعقلي والفكري والسلوكي، ثم تتطور معه في مراحل حياته اللاحقة في صورة خبرات وفنون وطرائق تعبير تسبّب له النجاح والتميز.

والشخصية اللغوية عند الطفل تتأثر تأثراً إيجابياً أو سلبياً بطرائق اكتساب اللغة، وبمدى ما توفره بيئة الطفل من مصادر لغوية متعددة، وتعتمد على سلّم التطور اللغوي عند الطفل في مراحله الطفولية المختلفة (والحديث هنا عن طفل سليم الحواس والعقل). كما تستند بالضرورة إلى الفروقات الفردية عند الأطفال. ومهما تنوعت أساليب إكساب الطفل لغة متنامية، فإن ثمة جانبين متلازمَيْن في تعزيز الاكتساب اللغوي، وهما الجانب العفوي في تعلم اللغة أي ما يتعلّمه الطفل من تلقاء نفسه بالمحاكاة مثلاً أو ما يكتسبه الطفل من لغة ببرامج وخطط ودروس وورش أعدت خصيصاً لهذه المهمة[10]. غير أن الاجتهادات في مسألة تطور النمو اللغوي عند الطفل ستبقى قيد النقاش والبحث[11] .

4-دور مؤلف أدب الأطفال في بناء الشخصية اللغوية:

اللغة أداة الكاتب بعامة، وهي أداته الرئيسة في إنتاج أدب الأطفال على وجه التخصيص. ولا أحسب كاتباً ناجحاً إلا ملتفتاً بالضرورة إلى استخدام لغة تتناسب مع كل مستوى من المستويات الآتية، وهي مستويات متعلّقة بنماء الأطفال:

- المستوى العُمُري (المرحلة العمرية للطفولة).
- المستوى المعرفي.
- المستوى النفسي.
- المستوى الاجتماعي.
- المستوى البدني [سلامة الحواس].
- المستوى العقلي (الفكري) .
- المستوى الخيالي .
- المستوى الانفعالي.

كما يحسن الانتباه إلى مسألة الفروق الفردية بين الأطفال، فقد يستطيع طفل التاسعة أن يتذوق ويستوعب نصاً موجّهاً لأطفال الرابعة عشرة؛ لذلك ليس ثمة معايير لغوية حاسمة كلياً في هذا المجال، وإنما يعتمد الأمر على قدرة الكاتب في مراعاة المستويات المذكورة ما استطاع إلى ذلك فنّاً وخبرةً ودراية وتوقعاً.

ففي حين يرى أغلب المختصين بأدب الأطفال

بضرورة تقديم لغة سهلة معروفة في أدب الأطفال، يرى آخرون أن لا بُدَّ من إيراد بعض الكلمات الصعبة التي تثير ذهن الطفل وتغني ثروته اللغوية على غرار القول «يحسن بنا أن لا نبسّط اللغة بصورة لا تضيف إلى إدراك الطفل معجماً جديداً ولا نتقعر فيها فينفر منها»[12].

أما المؤلف غير الخبير باللغة نحواً وإملاء وصرفاً فقد يسيء إلى نفسه وإلى مقروئية كتابه، وإلى ذوق الأطفال أنفسهم وإلى جماليات العربية كذلك، فالأطفال ينتظرون دائماً نصّاً لغوياً سليماً وجميلاً يتذوقون من خلاله اللغة ويسعدون بجمالياتها، فيقدّرونها ويقدّرون أنفسهم.

5-مصادر لغة الطفل ووسائطها :

تتسع المصادر التي يستقي منها الطفل شخصيته اللغوية لتشمل :

- القرآن الكريم .
- الحديث النبوي الشريف .
- الشعر العربي .
- الكتب المدرسية .
- المكتبات .
- الأهل والأصدقاء والناس في الشارع .
- المجلات المتخصصة بثقافة الطفل .
- أدب الأطفال : أناشيد، قصص، مسرحيات.
- أنماط فنية وثقافية مختلفة: تمثيليات تلفزيونية وإذاعية، أفلام، ومختلف وسائط التكنولوجيا (الميديا) من مثل ممارسة التلاميذ مهارة التلخيص من موقع الفيسبوك والتويتر.
- الأمثال والنوادر والألغاز والحكم والنصائح والوصايا والحكايات الشعبية والأخبار والإعلانات.
- أي موقف يستمع فيه الطفل لكلام معين أو يقرأ فيه نصّاً مكتوباً .

يتحصلّ الطفل على اللغة منذ محاولاته الأولى في النطق، ثم يرتقي في سلّم النمو اللغوي، وتبدأ ثروته اللغوية بالازدياد كلما أتيح له استخدامها منذ السنة الثانية حتى الرابعة عشرة، وكلما تعددت وسائل التشويق ووسائط تعزيز الدافعية للتعبير عن الذات وعن المشاهد الخارجية.

ويرى سمير عبدالوهاب أحمد أن «الطفل يبدأ في اكتساب اللغة من خلال اتصاله بالبيئة الثقافية بصورة عفوية تقوم على التقليد والمحاكاة، ثم يصير قادراً على إخراج الكلمات والجمل والتعابير بطريقة عفوية»[13] في حين يرى آخرون أن «الطفل يكتسب اللغة عبر ثلاثة أشكال من النمو هي النمو المعرفي، ونمو القدرة على فهم الكلام وتمييزه، ونمو القدرة على إنتاج أصوات الكلام الذي يتطابق مع أنماط كلام الكبار»[14]. «فأهمية اللغة تنبع من كونها محوراً أساسياً في بناء الإنسان وفي إبراز شخصيته والتعبير عنها، كما أن لها أثراً كبيراً في تكوينه الفكري والاجتماعي والنفسي والقيمي، فهي أساس النشاط الإنساني البناء في المجتمع كله، فالتاريخ كله يقف وراء اللغة»[15]. كما «يجب أن تتمشى طرق تنمية التذوق اللغوي مع الاعتبارات التربوية والسيكولوجية والفنية. فالقصص والأغاني والألوان المختلفة من أدب الأطفال الجيد تعرف طريقها إلى وجدان الأطفال وتجذب انتباههم، وتثير فيهم عوامل التقدير والإعجاب، وتصل بهم إلى درجة التذوق ومراحل التعاطف والاندماج »[16]. وعليه «فإن اعتماد الأفكار على الألفاظ في التعبير عنها تعبيراً دقيقاً واضحاً محدداً، يستدعي من الإنسان أن يُعنى باختيار ألفاظ اللغة وفهم دقائقها واستعمالها بوضوح وتحديد»[17].

ويتعين على العاملين في مجال أدب الأطفال أن ينتبهوا بعناية إلى مسألة تربية الإبداع الأدبي عند الأطفال. وهنا يقع على المعلم عبء إضافي في هذه المهمة «فالمعلم العادي لا يصلح للإشراف لافتقاره إلى معرفة طبيعة الأجناس الأدبية، ولهذا السبب يسعى المجتمع العربي إلى الإفادة من الأدباء في

تقديم العون للمشرفين الذين تلقوا تدريبات جديدة تؤهلهم لتلّمس الإبداع»[18].

6-آلية بناء الشخصية اللغوية في أدب الأطفال:

لعلّ آلية بناء الشخصية اللغوية عند الطفل تتجوهر في توظيف مهارات الاتصال الأربع [القراءة، والكتابة، والتحدث، والاستماع] فهي مهارات شاملة لأهداف تدريس اللغة العربية بعامة وتدريس أدب الأطفال بخاصة. وإذا أتقنها التلميذ أمكنه أن :

- يستخدم اللغة العربية الفصيحة في الحياة اليومية (الجانب الوظيفي للغة) .
- يُبين عند النطق والكتابة .
- يستمتع بجماليات اللغة العربية وأساليبها التعبيرية.
- يعزّز لديه روح الانتماء إلى الأمة .
- يستخدم المهارات اللغوية في المباحث الأخرى .
- يقوّم لسانه فيجنّبه الوقوع في العامية أو الأخطاء الشائعة .
- يقرأ النصوص قراءة صحيحة .
- «تذوق النصوص الأدبية ويحاكيها».[19]
- يحسن الاستماع إلى النصوص المقروءة .
- يحاور بأسلوب ناجح .
- يستخدم أساليب إقناع وتأثير .
- يلوّن قراءته تلويناً تعبيرياً .
- يكتب جملة أو نصاً كتابة سليمة معبّرة .
- يتقن فن التحدث أو إبداء الرأي .
- يُنمّي موهبته الإبداعية في الكتابة، أو الإلقاء أو الخطابة أو التحدث .

وأحسب أن منظومة المهارات اللغوية السابقة إنما هي نتائج إتقان لمهارات لغوية تفصيلية جزئية يمكن أن تتحقق في أدب الأطفال:

منها :

- اكتساب رصيد معجمي من الألفاظ .
- استخدام كلمات في جمل مفيدة .
- «محاكاة أنماط لغوية وتوظيفها في مواقف اجتماعية»[20].
- استخدام علامات الترقيم المختلفة في أماكنها الصحيحة .
- وضوح الخط .
- إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة عند النطق؛ وتأمّل أصواتها وإيقاعاتها.
- التلوين التعبيري عند التكلّم حسب طبيعة الموقف.
- السلامة النحوية والصرفية والإملائية.
- نطق الكلمات على وفق ضبطها بالشكل وتعرّف علامات الإعراب المختلفة.
- استخدام أساليب تعبيرية مختلفة كأسلوب النداء والاستفهام والتعجب والتمني.
- كتابة فقرة من جمل متعددة .
- التحدّث بجمل مترابطة .
- الالتزام بآداب الاستماع .
- إنشاد الشعر بالتعبير الصحيح.
- إلقاء القصص بأسلوب تعبيري مناسب.
- ممارسة الأداء المسرحي باللغة المعبّرة .
- تنظيم الأفكار ضمن الوحدات اللغوية المعنيّة حسب الموقف التعبيري [21].
- استخدام مظاهر المدّ والوقف والإمالة والهمس والقلقلة والإدغام والإخفاء والإظهار.
- حفظ آيات كريمة أو أحاديث شريفة أو أبياتٍ أو نصوصٍ نثرية قصيرة.
- تعرّف نماذج مختلفة من أساليب الحوار .

ويمكن القول إن إتقان الطفل مهارات لغوية متعددة يجنّبه مجموعة من العيوب المحتملة كالتردد والحيرة والتلعثم والخوف والارتباك والخجل والكذب، وعلى الجانب المضاد فإن الطفل المتمكّن من حسْن التعبير شفهياً وكتابياً يكتسب الثقة في نفسه والشجاعة الأدبية في الحوار والتحدث والمناقشة والتفكير، وحل المشكلات.

7-مشكلة البحث و مسوّغاته:

- تعدّ اللغة العربية الملمح الأهم من ملامح شخصية الأمة، فإذا ضعفت اللغة آلت شخصية الأمّة إلى فقدان أهم ملمح تاريخي وحضاري من ملامحها وتداعت إلى الانهيار، والعكس صحيح أيضاً فإن لغة قوم تضعف إذا انكسرت شخصية القوم أمام شخصيات الأقوام الأخرى، وهذا هو الذي يحدث الآن مع الشخصية العربية ولغتها؛ «إذ إن تنامي استخدام الوسائط الحديثة في الوطن العربي أحدث ظاهرة تتمثل في تنامي استخدام اللهجات العامية المحلية بشكل بات يهدد بخطر حقيقي على اللغة الفصحى التي وحدت الهوية العربية لقرون ولا تزال، لكنها اليوم تحتاج إلى وعي جديد يعيد لها مجدها القديم في الثقافة العربية إجمالاً. فالثقافة هي اللغة وهي الهوية كما أنها التاريخ»[22].
- مزاحمة اللغة الإنجليزية للغة العربية في مصادر ثقافة الطفل، بدءاً بمناهج اللغة العربية إذْ يتعلم الأطفال العرب الآن اللغة الإنجليزية في مرحلة الروضة، وأصبحت مبحثاً رئيساً من مباحث الصف الأول الأساسي، على نحو نظام التعليم في الأردن وبعض الدول لعربية. ويبدو أن خطر مزاحمة الإنجليزية للعربية مزدوج، فالكلمات الإنجليزية مختلطة بالمفردات العامية السائدة، وذلك ما يزيد الأمر إشكالاً وخطورة .
- صدود الأطفال عن القراءة باللغة العربية من مصادرها الأصلية كالقرآن الكريم، والشعر القديم، والكتب المدرسية المنهجية، والكتب العامة بما فيها الكتب الموجّهة للأطفال، وذلك بسبب «الانتشار والتطور السريع لبرمجيات الحواسيب والهواتف النقالة وأجهزة تشغيل الأفلام والموسيقى والإنترنت ... لقد أصبح الانحدار العام في معدلات القراءة ظاهرة عالمية اتفقت عليه معظم الدراسات والبحوث في هذا المجال وخصوصاً بين الأطفال والمراهقين ... إلا أن تحدي مواجهة التكنولوجيا وسحرها الجارف الذي يتزايد يوماً بعد يوم، يتطلب منا سعياً حثيثاً ومضاعفاً لاستيعابها وتتبع خطاها في سبيل جذب الطفل وغرس حب القراءة والمطالعة لديه، وهذه المسؤولية يجب أن تمتد إلى حكومات الدول وتبدأ من الأسرة»[23].
- تصدّع مهارة التفكير باللغة عند الأطفال واليافعين، إذ «إن نشأة هؤلاء الأطفال على هذه الثقافة وترعرعهم عليها، خلق منهم جيلاً مختلفاً بشكل كبير عن أقرانهم من الجيل السابق، جيلا شبّ على برمجيات الحاسوب وشبكة الإنترنت، فخلق فيهم أنماط تفكير حديثة مقارنة لنمط تشغيل الشبكة الإلكترونية. وعلى غرار صورة الإبحار في الإنترنت، فهم يقفزون من موضوع لآخر ومن فكرة لأخرى دون وجود علاقة سببية»[24]. فإذا تصدّع التفكير باللغة عند الأطفال افتقدت الشخصية اللغوية ملامحها وأثّرت في الشخصية العامة للطفل تأثيراً سلبياً غير حميد العواقب.
- تراجع استراتيجيات تدريس اللغة العربية ولاسيّما أدب الأطفال في المؤسسات التربوية، فالمعلمون قبل الأطفال بحاجة ماسّة إلى دورات متواصلة في أساليب تدريس المهارات اللغوية، وفي تنمية وعيهم الديني والوطني والعربي بأهمية اللغة العربية في بناء الشخصية اللغوية عند الأطفال.
- لم تزلْ نسبة عالية ممّا يقدّم للأطفال من أدب [أناشيد، قصص، مسرحيات] غير خاضعة لتقييم فني، بسبب حداثة هذا النوع من الأدب،

وندرة النقاد المتخصصين فيه، وضآلة الوعي الثقافي بأهمية أدب الأطفال، يزاد على ذلك تسابق دور النشر وعدد كبير من الكتاب على إنتاج أدب أطفال لحاجة تجارية محضة.

ولأن أدب الأطفال أدب موجّه بقصدية رئيسة إلى الأطفال؛ فإن مهمته تبدو أساسية وواسعة في متابعة تنامي الاستعداد اللغوي عند الطفل «ليصل إلى مرحلة يكون فيها قادراً على التعبير عما يجول في نفسه من خواطر وأفكار عند سماعه أو رؤيته أي شيء، وهذا الاستعداد اللغوي لا يتأتى إلى الطفل دفعة واحدة وفي مرحلة من المراحل، وإنما يتدرّج الطفل فيه تدرّجاً واضحاً منذ ولادته حتى تطور مراحل حياته المختلفة التي يمرّ فيها»[25].

8-الدراسات السابقة:

أرى أن الدراسات السابقة في مجال بناء الشخصية اللغوية في أدب الأطفال (تحديداً) تكاد تكون غير موجودة، وربما يكون السبب هو حداثة أدب الأطفال؛ إذ لم ينتبه المعنيون بعد إلى أهمية هذا النمط الأدبي في إكساب الطفل المستويات اللغوية المرجوّة التي تبني شخصيته الكلية. أي لا توجد اتجاهات نقدية متخصّصة في لغة أدب الأطفال كافية لتعميم هذه الاتجاهات، ولكن ثمة عشرات الدراسات والكتب التي تناولت لغة الطفل من منظور النمو اللغوي والتربية اللغوية في المرحلة العمرية المبكّرة. فأدب الطفل متنازعٌ عليه بين التربية والأدب، حتى إن تدريسه في الجامعات يتمّ في كليات التربية حيناً وفي كليات اللغة العربية حيناً آخر أو في كلتيهما معاً.

غير أن قلّة من الباحثين التربويين التفتوا إلى اللغة بصفتها مصدراً لتنمية التذوّق الأدبي لدى الأطفال، مثل «تنمية مهارات التذوّق الأدبي لدى تلاميذ الصف الخامس من التعليم الأساسي»[26]، و«درجة إتقان طلبة الصف التاسع الأساسي في الأردن لمهارات التذوق الأدبي في اللغة العربية»[27].

وفي رسالة ماجستير حديثه جداً بعنوان «فعالية برنامج تدريبي لمهارات التفكير الإبداعي في تنمية مهارة التذوق الأدبي لدى الطلبة الموهوبين في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز»[28]، استنتج الباحث أنه كلما امتلك الطلبة مهارات التفكير الإبداعي من طلاقة ومرونة وأصالة ازدادت لديهم القدرة على تذوق النص الأدبي.

كما التفتت بعض الدراسات الأجنبية منذ ما يزيد على خمس وعشرين سنة إلى تنمية العلاقة بين التفكير الإبداعي والنص الأدبي لدى الطلبة على غرار دراسة (Elaine. S)[29] و, ford-Brown) (lisa A[30] وغيرهما. وقد خلصت الدراستان إلى أن النص الأدبي مادة جيّدة لتدريب الطلبة على التفكير الإبداعي.

بيد أن الدراسات جميعها لم تحدد طبيعة النص الأدبي المختار، وركّزت على تنمية مهارات التفكير الإبداعي، لكن هذا البحث يخصّص أدب الأطفال ويتخذه مادة خصبة قادرة على بناء شخصية لغوية ناجحة عند الأطفال، فيكون التفكير الإبداعي وتذوّق النص الأدبي مهارتين جرى تحقيقهما بالضرورة ضمن منظومة كبيرة من المهارات الأخرى، فامتلاك المهارات اللغوية أساسي لتذوق النص الأدبي، وأدب الأطفال المنتقى وسيلة مناسبة لاكتشاف قدرة اللغة على إنماء التفكير من جهة، وعلى إنجاز اتجاه إيجابي نحو بناء شخصية الطفل بالتكامل مع الاتجاهات الوجدانية والسلوكية والمعرفية من جهة أخرى.

تطمح هذه الدراسة إلى أن تكون مدخلاً تطبيقياً تجريبياً لتفعيل أدب الأطفال في تحقيق كفاءة جيدة في امتلاك المهارات اللغوية بأنماطها المتعددة. فأحسب أن مثل هذه الدراسة ربما تلفت انتباه الباحثين إلى تكوين اتجاه فاعل نحو نقد أدب الأطفال وتطويره لصالح بناء الشخصية اللغوية عند الأطفال؛ ومع هذا الانتاج الكمّي الكبير من الأناشيد والقصص والمسرحيات الموّجهة للطفل إلا أن الجانب النقدي ضعيف المواكبة وغير منتبه إلى

أهمية أدب الأطفال. كما يمكن أن تحفّز الدراسة المعلمين ومدرسي أدب الأطفال إلى اكتشاف ما في هذا الأدب من عناصر تساعد على تحقيق مهارات القراءة والكتابة والتحدّث والاستماع، وهي مهارات رئيسة في تنمية الشخصية اللغوية.

9-أثر القصة في بناء الشخصية اللغوية عند الطفل:

ربما تكون القصة أو الحكاية أوفر أشكال أدب الطفل أنماطاً وأساليب لغوية بسبب تنوّع أنماط السرد حسب الأحداث الجزئية في القصة، ومن المعلوم أن القصص التراثية والتاريخية من مثل ألف ليلة وليلة ونوادر جحا والحكايات الأسطورية القديمة، والأدب القديم المكتوب على ألسنة الحيوانات ككليلة ودمنة، كلّ ذلك، يعمل على توسيع مدارك الطفل وشحذ مخيلته عن طريق اللغة الجذابة التي تفسح المجال لخيال الطفل بإدارة مجموعة من العمليات الذهنية السهلة والمركبة كالاستيعاب والتفسير والتحليل والتصنيف والتمييز والمقارنة والاستنتاج، وربما إصدار الحكم. كما تغني القصة قاموس الطفل اللغوي وتمدّه بتراكيب جديدة يستعملها في حياته العامة والخاصة، ولعلّ المراوحة بين السرد والحوار في القصة من دواعي لفت انتباه الطفل إلى الأبنية اللغوية التي تعزّز شخصيته وتطلق لسانه في التعبير. ومن المؤكد أن لكل مرحلة من مراحل الطفولة خصائص فنية للقصة المناسبة لتلك المرحلة؛ حتى تنسجم مدركات الطفل مع المستوى اللغوي في القصة، سواء أكانت مسموعة في مرحلة ما قبل المدرسة حتى الصف الثاني تقريباً أو مقروءة من سن الثامنة فما فوق. إن الأصوات والحركات الإعرابية تؤثر أيما تأثير في أذن الطفل ووجدانه، وتشد اهتمامه وتدعو لسانه لأن ينطق بها محاكاةً وتقليداً باستمتاع. « فمن الضروري أن يتفق الإنتاج الأدبي في حقل الأطفال مع درجة نموّهم النفسي كما يجب أن تتفق اللغة مع درجة نموهم اللغوي، أما مراحل النمو اللغوي عند الطفل فهي: مرحلة ما قبل الكتابة، مرحلة الكتابة المبكّرة، مرحلة الكتابة الوسيطة، مرحلة الكتابة المتقدمة، مرحلة الكتابة الناضجة»[31].

من المعروف أن الطفل يتلقى القصة الموجّهة إليه إما بالاستماع لها من متكلم سارد (أب، معلم، أم، أخ أكبر) أو من مسجّل أو من قرص مدمج بوساطة الحاسوب أو أي وسيلة (تقنية) أخرى، وإما أن يقرأ الطفل القصة مباشرة من كتاب، غير أن الملائم والمفضل أن يتعوّد الطفل قراءة القصة، لكي تغدو القراءة عنده عادة ومهارة يستطيع بها أن يحسّن نطقة وإخراج الحروف من مخارجها وتلوين التعبير عن المعاني، وتعزيز إرادة الفهم وأساليب التفكير في أثناء القراءة، لأن وجود النص أمام الطفل يُمكّنه من التعلم مباشرة.

فإذا قرأ الطفل القصة الآتية (أغنية العصافير)[32] فبإمكان المعلم أو الأبّ أو الأمّ أو الأديب نفسه أن يدرّب الطفل على عشرات المهارات والأساليب والأنماط اللغوية الواردة في القصة.

وقد اخترت هذه القصة للأسباب الآتية:

- خضوعها قبل نشرها لتقييم فني من خبراء في وزارة الثقافة الأردنية.
- ملاءمة مستواها اللغوي للمرحلة العمرية المتوسطة من الأطفال (10-12) سنة، وهي المرحلة التي يستطيع فيها الطفل استيعاب أساليب اللغة استيعابًا أعمق.
- موضوعها المحبب للأطفال، وهو يحمل قيماً جمالية وأخلاقية وأهدافاً سلوكية ومعرفية ووجدانية قابلة للتطبيق.
- حجمها المناسب.

أغنية العصافير:

[(زوزو) عصفور صغير عمره شهر واحدٌ، كان ريشه ملوناً كقوس قزح. في الليل ينام زوزو بين ماما وبابا في عش صغير بين الأغصان العالية في

غابة جميلة بعيداً عن أنظار الصيادين، وفي النهار يتدرَّب زوزو على الطيران مع ماما، بينما يذهب بابا إلى الحقول القريبة ليحضر طعاماً إلى زوزو وأمّه. وفي أحد الأيام عندما كانتْ أم زوزو نائمة قال زوزو لنفسه:

- يجب أن أطير وحدي دون مساعدة ماما .

قفز زوزو الصغير من العش، وطار لمسافة قصيرة ولكنه سرعان ما شعر بالتعب وسقط على الأرض، فالتقطه أحدُ الصيادين، ثم بدأ زوزو ينادي أمه.

ركضتْ أمّ زوزو صوب الصوت وهي ترفرف بجناحيها فوق الصياد وتبكي، أخذ الصياد يضحك وحاول خداع أمّ زوزو وصيدها، ولكنها هربتْ.

حمل الصياد العصفور الصغير زوزو، وذهب به إلى السوق كي يبيعه ويشتري بثمنه شباكاً ورصاصاً. وفي السوق اصطف حوله كثير من التجار، فمنهم من دفع عشرة دنانير، ومنهم من دفع عشرين ديناراً، وأخيراً وصل سعره إلى مائة دينار دفعها أحد التجار الأغنياء . ثم حمله التاجر الغني في قفص جميل وعاد به إلى داره، ثم أخذ التاجر الغني وزوجته يعتنيان به يوماً بعد يوم يطعمانه ويسقيانه وهو في القفص ويتمتعان بصوته الجميل . وقد اعتاد التاجر وزوجته النوم مساءً والاستيقاظ صباحاً على صوته العذب .

كانت العصافير المجاورة لبيت التاجر تسمع زقزقة زوزو الجميلة لكنها لا تعرف أين هو .

وفي يوم من الأيام خرج التاجر وزوجته لضيافة أحد أقاربهما، لكنهما نسيا نافذة غرفة النوم مفتوحة، أخذ العصفور الصغير زوزو يغني، فسمعته العصافير، وأخذتْ تقترب من الصوت الجميل شيئاً فشيئاً، وتصغي أكثر وأكثر حتى وصلت إلى نافذة غرفة نوم التاجر، وقالتْ :

- صباح الخير أيها العصفور الجميل .

قال زوزو :

- صباح الخير أيتها العصافير .

ثم سأله أحد العصافير :

- لماذا أنتَ في هذا القفص أيها الصغير ؟

قال زوزو الصغير :

- إنني أعيش عند صاحب هذا البيت في هذه الغرفة الجميلة يطعمني ويسقيني وكل ما أعمله أغني له ولزوجته .

ثم قال له عصفور آخر :

- هل نساعدك على إطلاق سراحك من هذا القفص، تطير مثلنا، وتغرد فوق الأشجار، وتحلق في السماء، وتبني عشاً، وتفرِّخ عصافير صغيرة؟

قال زوزو :

- لا أريد ... إن سيدي صاحب هذا البيت قال : « إن الصيادين يقتلون كل طائر يغرد في الغابة، وأنا لا أريد أن أموت، ... ».

وبينما كانت العصافير تتحدث مع زوزو، جاء التاجر وزوجته إلى دارهما، وطارت العصافير في السماء ترفرف بأجنحتها وهي تغني بينما بقي زوزو العصفور الصغير في قفصه يراقبها، ثم أخذ يرفرف بجناحيه داخل القفص إلا أنهما كانا يرتطمان بأسلاك القفص، فتناثر ريشه الملون، وسال دمه من منقاره الصغير ومن جناحيه فأخذ يشعر بألم شديد، وسقط في صحن الماء وكاد أن يختنق .

دخل التاجر غرفة نومه ولكنه لم يسمع غناء زوزو الجميل ثم فتح القفص وأخرج العصفور الصغير زوزو ووضعه على كفّه ثم قذفه في الهواء إلا أن العصفور الصغير لم يستطع تحريك جناحيه الصغيرين فسقط أمام التاجر، حاول التاجر وزوجته عدة مرات لكن العصفور الصغير كان في كل مرة يسقط أمام التاجر، قال التاجر لزوجته :

- إن عصفورنا أصبح مريضاً ولا فائدة منه .

وضعه على كفّه وقذفه في الهواء لكن زوزو سقط على الأرض أمامه، وقال :

- هذا العصفور ليس لديه القدرة على الطيران أو التحليق أو الرفرفة بجناحيه، أو حتى إصدار صوت، لا حاجة لي به .

وضع التاجر العصفور المسكين في قفصه وتركه قرب الباب، ثم سألته زوجته :

- أين وضعت العصفور ؟

قال التاجر :

- لقد رميته قرب الباب ربما تأكله القطط أو يموت.

قالت زوجته :

- نريد أن نحنطه، كي يبقى ذكرى ومنظراً جميلاً في دارنا .

كان العصفورُ الصغير زوزو يستمعُ إلى حديث التاجر مع زوجته، ثم قال لنفسه :

- إن هؤلاء الناس يرون أن قيمة العصافير تكمن في قدرتها على التحليق والطيران وإصدار الأصوات الجميلة التي تطربهم وإلا فلا فرق بينها وبين الطيور اللاحمة، لو كان وزني يزيد على ستين غراماً لما توانوا عن قتلي وأكلي، ليتني سمعتُ كلام العصافير .

وبينما كان زوزو يحدّثُ نفسه رآه أحد العصافير في القفص، فأخذ يصيح بأعلى صوته لينبّه العصافير الأخرى، وبسرعة تجمعتْ مئات العصافير حول القفص، واستطاعتْ فتح القفص وإخراج زوزو ثم حملته إلى الغابة وهي تغني :

زوزو يا صغير ...

حطّم القفص وطير ...

زوزو أنقذناك ...

زوزو حررناك ...

فلتغنِ العصافير :

زوزو يا صغير ...

حطّم القفص وطير ...

وفي الغابة التقى زوزو مع ماما وبابا، وبقيت العصافير تعتني به حتى شفي، وأخذ يطير ويحلق في السماء، وبنى عشّاً جميلاً ووضع به بيوضه، وبعد فترة فرّخ عصافير صغيرة جميلة وملونة كقوس قزح] .

جدول مقترح لتحليل المظاهر اللغوية في القصة السابقة .

مفردات اللغة	النص	المهارات والأساليب والأنماط
الجملة الخبرية	1. زوزو عصفورٌ عمره شهرٌ واحد 2. حمل الصيادُ العصفورَ الصغيرَ زوزو 3. لا حاجة لي به 4. لا تعرف أين هو 5. لا أريد 6. لا فائدة منه 7. لا يسمع	بلاغة
الجملة الإنشائية	1. **استفهام** – لماذا أنت في هذا القفص أيها الصغير؟ – أين وضعت العصفور؟ 2. **نداء** – أيها العصفور الجميل – أيتها العصافير 3. **التمني** ليتني سمعت كلام العصافير 4. **صيغة الأمر** – فَلْتغنِّ	بلاغة
همزة الوصل	– اعتاد التاجر – والاستيقاظ	إملاء
همزة قطع	– يجبُ أن أطير – في أحد الأيام	إملاء
العطف	– شعر بالتعب وسقط على الأرض، فالتقطه أحد الصيادين، ثم بدأ زوزو ينادي أمه	نحو
الفعل الماضي	– قفز زوزو الصغير وطار لمسافة قصيرة	نحو
الفعل المضارع	– في النهار يتدرّب زوزو على الطيران مع ماما بينما يذهب بابا إلى الحقول القريبة ليحضر طعاماً	نحو
فعل الأمر	– حطّم القفص	نحو
أسلوب شرط	– لو كان وزني يزيد على ستين غراماً لما توانَوْا عن قتلي	نحو

مفردات اللغة	النص	المهارات والأساليب والأنماط
أسلوب استدراك	– دخل التاجر غرفة نومه ولكنه لم يسمع غناء زوزو قذفه في الهواء إلا أن الصغير لم يستطع تحريك جناحيه	أنماط لغوية
تكرار	-1 زوزو يا صغير زوزو زوزو -2 أخذ يطير أخذ يرفرف فأخذ يشعر أخذ التاجر الغني	أنماط لغوية
إيقاع لغوي	– زوزو أنقذناكْ – زوزو حررناكْ	موسيقى لغوية
حوار	سألته زوجته : – أين وضعت العصفور؟ قال التاجر : – لقد رميته قرب الباب قالت زوجته : – نريد أن نحنّطه	مهارة تحدّث
توكيد	– إنني أعيش عند صاحب هذا البيت – إن عصفورنا أصبح مريضا	بلاغة
ظرف زمان ومكان	– أمامه، داخل، فوق، حول، عند صباحاً، مساءً، قُرب	نحو
حروف نصب المضارع	كي يبيعَهُ، ليحضرَ، أن أطير، لينبّه	نحو
حروف جزم المضارع	لم يسمع، لم يستطع، فَلَمْ تُغَنِّ، لم يتوانوا	نحو
صيغ سردية	– شيئاً فشيئاً – وبعد فترة – في يوم من الأيام – وبينما كانت العصافير – وأخيراً	أنماط لغوية
مفردات جديدة	– إطلاق سراحك من هذا القفص – لم يتوانوا – نحنِّطه – تكمن	حصيلة لغوية
تشبيه	– كان ريشه ملوّناً كقوس قزح	بلاغة

مفردات اللغة	النص	المهارات والأساليب والأنماط
علامات ترقيم	– لا أريد ... إن سيّدي صاحب هذا البيت قال: « إن الصيادين يقتلون كل طائر يغرد في الغابة، وأنا لا أريد أن أموت».	إملاء
أسماء إشارة	– هذا البيت – هؤلاء الناس	نحو
ضمائر منفصلة	– لماذا أنت في هذا القفص؟ – أنا لا أريد	نحو
أل الشمسية وأل القمرية	– الباب، العصافير، القفص، التاجر، الصغير، الطيران	إملاء
تاء التأنيث المبسوطة والمربوطة	استطاعت، البيت، العالية، مساعدة، مرة، القدرة	إملاء
صيغة المثنى في الفعل والاسم	يرتطمان، نَسِيا لم يستطع تحريك جناحيه الصغيرين	نحو
صيغة الجمع في الفعل والاسم	إن الصيادين يقتلون ... نجحت مئات العصافير ... أشجار، مرّات ...	نحو

وبتأمّل محتوى الجدول السابق، فإنه من المستطاع تعزيز الشخصية اللغوية عند الطفل من خلال استثمار الصيغ والمهارات والأساليب والأنماط في تدريب الطفل على مهارات الاتصال الأربع التي تُعدُّ الوسيط الأمثل للتعلم اللغوي الإجرائي والإبداعي في النص القصصي الموجّه للطفل على النحو المقترح الآتي:

حلقة ميدانية تطبيقية على قصة أغنية العصافير:

نسقتُ مع مدارس (المناهج)[33] التي تتدرب فيها طالباتي الجامعيات ميدانياً على تدريس اللغة العربية. وجهيزت غرفة صفية تضم ثلاثين تلميذاً وتلميذة من الصف الرابع الأساسي، وحرصت أن تكون عينة الطلبة عشوائية. فأما سبب تخصيص الصف الرابع؛ فلأن القصة تلائم طلبة هذه المرحلة[34] وأما سبب العينة العشوائية؛ فلأن أدب الأطفال ينبغي أن يوجّه إلى جميع الأطفال المتفوقين منهم وغير المتفوقين. إذْ من المعروف أن نسبة كبيرة من التلاميذ غير المتفوقين في التحصيل الدراسي يتميزون في الأنشطة اللامنهجية ويظهرون مواهب كانت خفية.

كان هدف الحلقة اكتشاف مدى فاعلية القصة القصيرة من أدب الأطفال في إكساب الأطفال المهارات الأربع [القراءة، والكتابة، والاستماع، والتحدث] التي يُتوقع أن تنمّي الشخصية اللغوية عند الأطفال. واستعنت بإحدى المعلمات لتكون معي في الغرفة الصفية في رصد الجانب الإحصائي. كما حرصتُ على أن تبدأ الحلقة في العاشرة صباحاً وتكون مفتوحة على الوقت لأتبيّن مدى تأثير حجم النص (طولاً أو قصراً) في زمن الحلقة. إذ يمكن الإفادة من نتائج هذا التبيّن في إمكانية استثمار أدب الأطفال داخل الغرفة الصفية مستقبلاً.

أعطت معلمة اللغة العربية التلاميذ فكرة قبلية

عن أنني أديب ضيف سألقي عليهم قصة قصيرة ثم أناقشهم بها.

الإجراءات:

نبهت التلاميذ على أنني سأقرأ عليهم قصة قصيرة جميلة بسرعة بطيئة وسأوجه إليهم أسئلة مختلفة بعد ذلك.

- قرأت قصة (أغنية العصافير) بتلوين تعبيري متعدد الأساليب وبوضوح كامل في مخارج الحروف تفخيماً وترقيقاً وتنغيماً وإيماءً وإيحاء.

أسئلة مهارة الاستماع:

وزعت الأسئلة الآتية التي تقيس الفهم والاستيعاب على التلاميذ ليجيبوا عنها كتابياً، ثم جمعتها بعد الانتهاء من الإجابة (لتقييمها في نهاية الحلقة):

1. اذكر صفتين في زوزو .
2. ما المشكلة التي وقع بها زوزو ؟
3. ماذا فعل الصياد بزوزو؟
4. هل أحبت العصافير زوزو ؟ لماذا ؟
5. لماذا أطلق التاجر العصفور من القفص؟
6. ما دليلك على أن العصفور كان يحب الحرّية؟
7. لماذا ترك التاجر العصفور داخل القفص قرب الباب ؟
8. ما هو موقف زوزو من التاجر وزوجته عندما فكّرا أن يحنّطا العصفور؟
9. لماذا أخرجت العصافير زوزو من القفص؟
10. ما الخطأ الكبير الذي ارتكبه زوزو؟

مهارة القراءة:

- وزّعت نصّ القصة على التلاميذ مطبوعاً ببنط واضح.
- كلفتُ مجموعة منهم قراءة النص قراءة جهرية، وكان اختياري عشوائياً بحيث قرأ كل منهم فقرة أو سطراً من النص، وبلغ عددهم عشرين تلميذاً وتلميذة.

كانت النتائج على النحو الآتي:

- 12 تلميذاً وتلميذة قرؤوا النص قراءة معبّرة سليمة إلى حدٍّ كبير من الأخطاء النحوية.
- ثلاثة تلميذات، وتلميذان قرؤوا النص بأداء متوسط.
- تلميذات وتلميذة واحدة قرؤوا النص بصورة مترددة تتضمن أخطاء نحوية، وبُطئاً ملحوظاً في القراءة.

وبالنظر إلى عدد التلاميذ الذين رفعوا أصابعهم أوّل مرة للقراءة وهو (27) تلميذاً وتلميذة، فإن عنصر (الدافعية) كان قوياً ودليلاً على الاستجابة الانفعالية للنص أي التشويق والاستمتاع.

مهارة التحدث:

سألتُ: من يلخُص القصة شفهيًا؟ فرفع (22) تلميذاً وتلميذة أصابعهم فاستمعتُ إلى ثلاث تلميذات وثلاثة تلاميذ، وكانت تلخيصاتهم متقاربة في الحديث عن المضمون وكذلك في أسلوب التلخيص.

ثم سألتُ : تحدّث عن أجمل موقف أعجبكَ في القصة ؟

فاستجاب للسؤال (26) تلميذاً وتلميذة، استمعتُ إلى خمسة منهم، فأربعة اتفقوا أن أجمل موقف هو تعاون العصافير لإخراج زوزو من القفص، وقالت تلميذة: إن أهم موقف هو أن زوزو تعلّم أن الابتعاد عن الأهل يسبب الخطر والخوف.

وسألت : تحدّث عن موقف لم يعجبك في القصة؟

استجاب للسؤال (19) تلميذاً وتلميذة، استمعتُ إلى أربعة منهم، أجمعوا أن التاجر كان قاسياً عندما وضع زوزو خارج البيت وكان يجب أن يعالجه أوّلاً.

بلغ عدد التلاميذ الذين أجابوا عن الأسئلة الثلاثة (15) تلميذاً وتلميذة أي نصف عدد تلاميذ الصف. وكانت إجاباتهم أي (تحدّثهم) متضمنة جملاً قصيرة على الأغلب، لكنها صحيحة من مثل: تعاونُ العصافيرِ أجملُ شيء، التاجر بخيل وقاسٍ لم يعالج زوزو.

ومن أبرز الملاحظات على التلاميذ المتحدّثين:

- الحماسة الواضحة للتحدثِ.
- استخدام جمل قصيرة تبدأ باسم على الأغلب.
- ندرة التلعثم.
- بعض التلاميذ استمر في التحدث حتى بعد أن طلبت منه التوقف، وأعزو ذلك لتفاعله مع أحداث القصة.

مهارة الكتابة :

كلفت خمسة تلاميذ الكتابة على السبورة، فأمليت على كل تلميذ جملته:

[كان ريشه ملوّناً كقوس قزح، في السوق اصطفَّ حوله كثير من التجار، اعتاد التاجر وزوجته النوم مساءً والاستيقاظ صباحاً، أخذت تقترب من الصوت الجميل شيئاً فشيئاً، إن عصورنا أصبح مريضاً ولا فائدة منه] .

ثلاثة من التلاميذ لم يقعوا في أخطاء إملائية، وواحد أخطأ في كتابة (الاستيقاظ فكتبها [الإسطيقاذ] وتلميذة أخطأت في كتابة [فائدة] فكتبتها [فاءدة] .

سرعان ما اكتشف عدد كبير من التلاميذ الخطأين، فكلفت تلميذين تصويب الخطأين ففعلا .

وبالعودة إلى ما كتبه التلاميذ جميعهم من إجابات لأسئلة الاستماع الموزّعة على التلاميذ منذ البداية تبيّن لي ما يأتي:

1. بلغت نسبة الإجابة الصحيحة (85%) تقريباً، وهذا يشير إلى تحقق نسبة عالية من مهارة الفهم والاستيعاب.
2. اتفق جميع التلاميذ وعددهم (30) على الإجابات السليمة في الأسئلة أرقام [2، 3، 4، 7، 9، 10] في حين تباينت أساليب تعبيرهم عن الإجابة السليمة عن الأسئلة الأخرى. واختلفت إجابات التلاميذ اختلافاً واسعاً في الإجابة عن السؤال الثامن. فأطرفها كانت الإجابة [أصلاً، العصفور لا يفهم] وأكثر الإجابات إبداعاً كانت [سيتمنى زوزو أن يصبح رجلاً لكي يعلم التاجر الرحمة] .

ومن اللافت للانتباه أن عدداً من التلاميذ استخدم في الإجابة أنماطاً وأساليب لغوية تحاكي ما جاء في القصة من أنماط.

فاستخدم تلميذ أسلوب الاستدراك في الإجابة عن السؤال الثاني فكتب: زوزو عصفور جميل لكن مشكلته أنه غادر العشّ، واستخدمت تلميذة أسلوب الاستفهام في إجابة السؤال التاسع فكتبت، لماذا يقتل الصياد العصفور الجميل؟ واستخدم أغلب التلاميذ الجمل الخبرية في الإجابة عن الأسئلة الأول والثاني والسادس والعاشر من مثل: زوزو أخطأ حين خرج من العشّ. ما أصغر عقل هذا العصفور الجميل! كما تكرّر نمط الشرط الآتي تكراراً وافراً: لو فكر زوزو قليلاً لما خرج من العش.

منحت التلاميذ مدة عشر دقائق (استراحة) ليكون بعد ذلك نقاش مفتوح حول القصة.

أخبرت التلاميذ بأنني أريد أن أستمع منهم إلى أي ملحوظة أو تعليق أو فكرة:

- سأل تلميذ: لماذا هربت أم زوزو من الصياد وتركت ابنها؟ لماذا لم تخبر العصافير الأخرى ليساعدوها ؟

أحلت السؤال على التلاميذ فأجاب أحدهم: لأنها لو اقتربت من الصياد لقتلها.

فردّ التلميذ الأول: حتى لوقتلها، لماذا لم تدافع عن ابنها؟

التلميذ الثاني: لو ماتت أم زوزو يمكن أن تموت

الفراخ الأخرى من الجوع.

وقفت تلميذة وقالت بحماسة: مؤلف القصة أخطأ، أم زوزو لم تهرب . لا أصدق أن الأم تترك ابنها وتذهب.

تلميذ رابع: يوجد خطأ آخر، أم زوزو كانت تصرخ وترفرف بجناحيها وليست تبكي.

تلميذ خامس: لو أنني ألّفت هذه القصة لجعلت العصافير تهجم على التاجر وتنقر عينه.

تلميذ سادس باندفاع: هل لاحظتم أن (أبو زوزو) لم يفعل شيئاً، لماذا لم يفتش عن زوزو ؟ إنه جبان.

تلميذ سابع (وهو يضحك): كان أبو زوزو (نائم).

تلميذ ثامن: سعر أي عصفور خمسة قروش ولماذا كان سعر زوزو مائة دينار؟

ردت تلميذة على الفور: لأنه عصور ملوّن.

تلميذ عاشر: لا، سعره (غالي) لأنه يغرّد نغمات مثل الموسيقى، عندنا في بيتنا عصفور (كناري) مثله.

تلميذه حادية عشرة: أنا، نهاية القصة لم تعجبني.

قلت : لماذا ؟

قالت: يجب أن يقول زوزو لفراخه أن لا يخرجوا من العش، لماذا نسيَ ما حصل معه؟

في هذه اللحظة صفق التلاميذ لزميلتهم بحرارة.

- فوجئت بأحد التلاميذ يرفع بين يديه ورقة ويقول لي ((رسمت لوحةً للقصة)) طلبت منه الخروج إلى السبورة للتحدث عن أفكار اللوحة ففعل. حقاً كانت لوحة معبّرة إذ أظهر الصيادِ والتاجر بملامح بشعة، وأظهر العصفور ملوّناً وبجانبه قطرات من الدموع.
- سألتني تلميذة: هل العصفور حقاً عندما يكون عمره (شهر) لا يقدر أن يطير؟ والحق أنني لم أستطع ان أجيب عن سؤالها فوعدتها أن أبحث عن هذه المعلومة. ومع ذلك ردّت : وأنا سأسأل أبي وجيراننا. ثم طلبتُ من التلاميذ أن يتحققوا من ذلك من مدرس العلوم أو في شبكة الإنترنت.
- اقترب مني تلميذ وهمس: يا أستاذ هل تسمح لي أن أغني الكلام الذي قالته العصافير في آخر القصة؟ ابتسمت ووافقت على الفور، فراح يوقّع المقطع بتنغيم جميل:

زوزو حررناك ... زوزو أنقذناك ...

والتلاميذ يردّدون معه إلى أن طلبت منهم التوقّف وشكرتهم. ثم سألت: اقترح عنواناً آخر للقصة. فاستمعتُ إلى سبعة منهم وسجلت العناوين المقترحة على السبورة وهي:

1. زوزو المسكين.
2. القفص الحزين.
3. قوس قزح.
4. مشكلة زوزو.
5. أحبُّ العصافير.
6. يا ليتني عصفور.
7. التعاون.

استطلعت آراء التلاميذ في أي العناوين أنسب، فحصل عنوان [يا ليتني عصفور] على أعلى نسبة من القبول.

في ضوء النقاش السابق يمكن استخلاص ما يأتي:

1. بروز مهارة الحوار بين التلاميذ بصورة جيّدة.
2. استخدم التلاميذ أنماطاً لغوية مختلفة كالتكرار والتوكيد والجمل الإنشائية.
3. عبّر التلاميذ بحرية واستمتاع.
4. ساعدت القصة في تحفيز التفكير الناقد عند التلاميذ.

5. أبرز النقاش مجموعة من العمليات الذهنية في التفكير كالاستنتاج والمقارنة والتمييز والربط والتحليل وإصدار الحكم.
6. أسهمت القصة في تفعيل التفكير الإبداعي عند بعض التلاميذ كالتلميذة التي أرادت أن تضيف لنهاية القصة وصية من زوزو لفراخه لكي لا يخرجوا من العشّ.
7. كشف النقاش عن اكتساب التلاميذ مهارة حل المشكلات.
8. قاد حُسْن الاستماع إلى أن يحسن عدد كبير من التلاميذ مهارة التلخيص.
9. حفّزت القصة التلاميذ إلى اتخاذ مواقف، وتكوين اتجاهات معرفية ووجدانية وسلوكية فيما أقدّر.
10. أدّت مناقشة القصة إلى اكتشاف موهوبين في الرسم والغناء.
11. فهم أغلب التلاميذ القصة فهماً جيّداً، وكنت أتوقع أن يسألني أحد عن معاني بعض الكلمات الصعبة من مثل: اصطف، تصغي، حرّرناك، سراحَك، لم يتوانَوْا، قوس قزح. إلا أن أحداً منهم لم يسأل. ويبدو أن تفاعل التلاميذ مع النص يجعلهم يتوقّعون معاني الكلمات الصعبة ولا سيّما إذا كان النص منسجماً مع بيئة التلاميذ.
12. بعد تأمل إجابات التلاميذ الشفهية منها والكتابية لاحظت أن أغلب ما ورد في جدول التحليل اللغوي العام (المنهج النوعي Qualities Research) من أساليب وأنماط ومفردات قد مورس ممارسة ملحوظة وكانت طبيعة الموقف التعبيري أساساً للطريقة التي عبّر بها التلاميذ في إجاباتهم إن شفهياً وإن كتابياً.
13. تبيّن من خلال تفاعل التلاميذ مع النص أن القصة القصيرة المناسبة تصلح أن تكون مادة لقياس مهارات التذوق الأدبي، فعشرة تلاميذ امتازت إجاباتهم (بالطلاقة) وتسعة منهم (بالمرونة) وستة منهم بالأصالة. أي بمجموع (25) تلميذاً مثلوا (85%) من عدد العيّنة.
14. يبدو أن القصة القصيرة التي تقدم للتلاميذ بمناقشة حرّة على نحو ما تم مناقشته تكون ذات فاعلية وإيجابية في نتائجها؛ لأن التلاميذ سمعوا النص وقرؤوه واستوعبوه جيّداً وبخاصة من خلال النقاش والحوار وتفرع الأسئلة والإجابات.
15. يعتمد نجاح المخرجات المرجّوة من مناقشة القصة على استراتيجية النقاش وطبيعة فرص المشاركة وإبداء الرأي وتحفيز الدافعية.
16. يعتمد الوقت المناسب لإتمام المناقشة على حجم النص، فأغنية العصافير احتاجت إلى (75) دقيقة أي إلى ما يزيد على وقت الحصة الدراسية العادية بـ (30) دقيقة. ومع ذلك بقي في القصة مظاهر لغوية أخرى قابلة للنقاش.
17. توقّع ازدياد الثروة اللغوية عند التلاميذ.
18. تعزيز قيم التعاون والمحبة والرحمة وطاعة الوالدين، والتنفير من قيم سلبية أخرى كالأنانية والطمع.
19. ربما حفّزت القصة التلاميذ إلى التواصل الاجتماعي بالمناقشة الجمعية للقصة وتعدد شخصياتها من خلال العلاقات المتبادلة بين تلك الشخصيات.

توصيات:

يوصي الباحث باستثمار أدب الأطفال في بناء الشخصية اللغوية عند الأطفال عن طريق ما يأتي:

أ. اختيار نصوص جيّدة مناسبة من أدب الأطفال ولاسيّما القصص القصيرة.

ب. وضع خطة سنوية أو نصف سنوية خاصة بالمدرسة أو مشتركة مع مدرسة أخرى لتخصيص حلقات نقاش حرّة في النصوص المختارة.

ج. إشراك طلبة موهوبين وغير موهوبين في

الحلقات.

د- إشراك أدباء الأطفال أنفسهم في النقاش أحياناً.

هـ-عقد دورات للمعلمين خاصة بأساليب تحليل المحتوى اللغوي من جهة وطرائق مناقشة النص الأدبي من جهة أخرى .

و- تزويد المعلمين بمعرفة كافية حول أثر المهارات اللغوية في تنمية أنماط التفكير، والتذوّق الأدبي.

الهوامش والإحالات:

1. حسين عطوان ،الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي، بيروت، دار الجيل، 1988، ص270 .
2. ابن قتيبة، عيون الأخبار، مج1، بيروت، دار الكتاب العربي، ب.ت، بتصرف .
3. هذا القول لكاتارينا مومزن، في كتاب: جوته والعالم العربي، الكويت،سلسلة عالم المعرفة، رقم 194، 1998، ص 41 .
4. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الخطبة، الحديث رقم 5146.
5. المصدر السابق، كتاب الأدب، باب ما يجوز في الشعر، الحديث رقم 6145 .
6. هربرت ريد، تربية الذوق الفني، ترجمة يوسف أسعد، القاهرة، 1975، ص 10 .
7. يُنظر على سبيل التمثيل محمد الشنطي، مفهوم أدب الأطفال في كتاب أدب الأطفال، السعودية، دار الأندلس للنشر، 1996، ص58 . وشعر الأطفال في الأردن، راشد عيسى، أمانة عمان الكبرى، الأردن، 2007، ص16. وأدب الأطفال، سمير أحمد، دار المسيرة، عمان، 2009، ص44 .
8. محمد علي الهرفي، أدب الأطفال، القاهرة، دار الرسالة، 1996، ص 16 .
9. علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3 ،1982، ص 5 .
10. لمزيد من التوسع يُنظر الباب الثاني من كتاب: علي وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، مصر،مكتبة غريب، 1971 . ص 141 .
11. ناقش عبدالحميد سلمان مراحل تطور النمو اللغوي في كتابه :سيكولوجية اللغة والطفل، الفصل الرابع. مصر، دار الفكر العربي، ط1، 2003، ص 157–208، وجاءت المناقشة على نحو اجتهادات الباحثين في علم نفس الطفولة إلا أن سليمان ظهر مؤيداً ومفسّراً لتفاصيل تنظيرية كثيرة عند بياجيه .
12. أحمد سويلم، في أدب الأطفال، القاهرة ،مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1982، ص 205–206 .
13. سمير عبدالوهاب أحمد، أدب الأطفال الأردن، دار المسيرة، ط2، ص2009، ص 287 .
14. فتحي يونس وآخرون، تعليم اللغة العربية: أسسه وإجراءاته، القاهرة، دار سعد للطباعة، 1996، ص 105.
15. عبدالوهاب مسعود، اللغة والإبداع، ندوة الإبداع والتعليم العام، القاهرة، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية، 1991، ص 141 .
16. أحمد نجيب، فن الكتابة للإطفال، ط5، مصر، دار الكاتب العربي، 1982، ص 97 .
17. المرجع نفسه، ص 96 .
18. سمر روحي الفيصل، أدب الأطفال وثقافتهم، دمشق، اتحاد الكتّاب العرب، 1998، ص35.
19. راشد عيسى، التشكيل الفني في أدب الأطفال، عمان، 2010، ص 68، بتصرف .

20. دليل المعلم، لغتنا العربية، الصف الأول، مجموعة مؤلفين، وزارة التربية والتعليم، الأردن، 2006، ص 13 .
21. تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال، مرجع سابق، ص 152 .
22. سليمان العسكري، من كتاب العربي رقم 82، الثقافة العربية في ظلّ وسائط الاتصال الحديثة، مجموعة باحثين، 2010 . ص 6 .
23. نهى الدخان، المرجع نفسه، ض 64–65 .
24. المرجع نفسه، ص 67 .
25. عبدالفتاح أبو معال، تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال، عمان ،دار الشروق، 1996، ص 13 .
26. حسن شحاته، تنمية مهارات التذوق الأدبي لدى تلاميذ الصف الخامس من التعليم الأساسي، مجموعة دراسات لغوية وتربوية في أساسيات التدريس الفعّال، القاهرة، الدار المصرية، اللبنانية، 1990.
27. إبراهيم المعازي، درجة إتقان طلبة الصف التاسع الأساسي في الأردن لمهارات التذوق الأدبي في اللغة العربية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، 2005.
28. طلال الشمري، رسالة ماجستير غير منشورة، شارك الباحث في مناقشتها في 2012/6/28، كلية الأميرة عالية الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، عمان، 2012.
29. S.Elaine, The effect of a basic movement education program, on the creative
30. thinking skills and self – concept of gifted Dissertation Abstracts International.
31. Vol. 41. No. 8. 1981.
32. Alissa, Ford-Brown: Oral Interpretation as a pedagogical Tool in Teaching
33. Literary Comprehension and Appreciation. Paper presented at the annual
34. Meeting of the Central States Communication Association. Chicago, Il, April 11 -14 .
35. أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، مرجع سابق، ص 37–39 .
36. عبود وزينب، قصص منصور الحجاجة، سلسلة كتب الأطفال الأردن، وزارة الثقافة، 2009 .
37. إحدى مدارس القطاع الخاص في مدينة عمان.
38. من (10–12) سنة.

المصادر والمراجع:

أ- المصادر :

- القرآن الكريم.
- البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الخطبة، الحديث رقم 5146.

- البتيري، علي، نحن المستقبل، الأردن، وزارة الثقافة، 2007.
- الحجاحجة، منصور، عبود وزينب، سلسلة كتب الأطفال، الأردن، وزارة الثقافة، 2009 .

ب-المراجع :

- أحمد، سمير. أدب الأطفال، عمان، دار المسيرة، ط2، 2009 .
- الحديدي، علي. في أدب الأطفال، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،، 1982 .
- الدخان، نهى. ومجموعة باحثين كتاب العربي رقم 82، الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة، الكويت، 2010 .
- أبو الرضا، سعد. النص الأدبي للأطفال، دار البشير، الأردن، 1993 .
- ريد، هربرت . تربية الذوق الفني، ترجمة يوسف أسعد، القاهرة، 1975.
- سويلم، أحمد . في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982 .
- شحاته، حسن. تنمية مهارات التذوق الأدبي لدى تلاميذ الصف الخامس من التعليم الأساسي، الدار المصرية، اللبنانية، 1990.
- الشمري، طلال. فعالية برنامج تدريبي لمهارات التفكير الإبداعي في تنمية مهارة التذوق الأدبي لدى الطلبة الموهوبين في مدارس الملك عبدالله الثاني للتميز، رسالة ماجستير غير منشورة، عمان، 2012.
- الشنطي، محمد، أدب الأطفال، دار الأندلس، حائل، السعودية، 1996 .
- عبد الحميد، سلمان. سيكولوجية اللغة والطفل، مصر، دار الفكر العربي، ط1، 2003.
- العسكري، سليمان. كتاب العربي، رقم 2، الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة، مجموعة باحثين، الكويت، 2010.
- عطوان، حسين . الرواية الأدبية في بلاد الشام في العصر الأموي، بيروت، دار الجيل، 1988.
- عيسى، راشد. شعر الأطفال في الأردن، عمان،أمانة عمان الكبرى، 2007.
- عيسى، راشد. مهارات الاتصال، سلسلة كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف، 2004 .
- الفيصل، سمر، أدب الأطفال وثقافتهم، دمشق، اتحاد الكتّاب العرب، 1998 .
- ابن قتيبة . عيون الأخبار، مج1، بيروت، دار الكتاب العربي، ب. ت .
- مسعود، عبد الوهاب. اللغة والإبداع، ندورة الإبداع والتعليم العام، القاهرة، المركز القومي للبحوث التربوية، 1996 .
- أبو معال، عبدالفتاح. تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1982 .
- أبو معال، عبدالفتاح. دراسات في أناشيد الأطفال وأغانيهم، عمان، دار البشير، 1986 .
- المعازي، إبراهم، درجة اتقان طلبة الصف التاسع الأساسي في الأردن لمهارات التذوق الأدبي، رسالة

ماجستير، الأردن، 2005.

- مومزن، كاتارينا. جوته والعالم العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، رقم 194، 1998.
- نجيب، أحمد. فن الكتابة للأطفال، القاهرة، دار الكاتب العربي، 1982 .
- الهريفي، محمد علي. أدب الأطفال، القاهرة، دار الرسالة، 1996 .
- وافي، علي . نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، القاهرة، مكتبة غريب، 1971 .
- يونس، فتحي وآخرون. تعليم اللغة العربية أسسه وإجراءاته، القاهرة، دار سعد للطباعة، 1996 .

المراجع الأجنبية:

- Elaine. S. The effect of a basic movement education program, on the creative thinking skills and self – concept of gifted Dissertation Abstracts International. Vol. 41. No. 8. 1981.
- Ford-Brown, Alissa: Oral Interpretation as a pedagogical Tool in Teaching Literary Comprehension and Appreciation. Paper presented at the annual Meeting of the Central States Communication Association. Chicago, Il, April 11 -14.